قصة هود عليه السلام

تفرقت ذرية نوح عليه السلام بعد موته فى الأرض ليعمروها ، فمنهم من سكن الشام ، ومنهم من استوطن العراق ، ومنهم من أقام فى مصر ، واتخذ قوم عاد لهم سكنًا شرقى عدن باليمن قرب ساحل البحر الأحمر يقال له الأحقاف ، والأحقاف : جمع حقف ، وهى الرمال الغزيرة والروابى المرتفعة ، وكانت أرضهم قاحلة يقل فيها الماء ، ويعتمدون فى السقيا على ماء المطر .

وقد أمدهم الله بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، وزادهم فى الخلق بسطة وقوة لا مثيل لها ، كما قال جل شأنه : ﴿ ألَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ ربُّك بعادٍ إرَمَ ذاتِ العِمَادِ التى لم يُخْلَقْ مثلها فى البلادِ ﴾ [1] أى مثل قبيلة عاد ، وليس هناك بلد تسمى إرم – كما يظن كثير من الناس – ليس فى البلاد مثلها ، بل إرم اسم جد لهم ، وتسمى هذه القبيلة عاد إرم ، وسميت أيضًا فى القرآن بعاد الأولى وذلك فى قوله تعالى : ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى﴾[2] وهم أبناء عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

وقد كان هؤلاء القوم يعبدون الله عز وجل على دين أبيهم نوح عليه السلام زمنًا ، فلما طال بهم العمر قست قلوبهم وساءت أخلاقهم ، وفسدت طباعهم ، واجتالتهم الشياطين ، فسولت لهم عبادة الأصنام ، فاتخذوها آلهة ، يدعونها رغبًا ورهبًا كما كان يفعل قوم نوح عليه السلام ، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم ، هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام .

فدعاهم إلى التوحيد الخالص ، والدين القيم بلغتهم التى يتكلمون بها وهى العربية .

كما قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومه ليُبَيِّنَ لهم ﴾ [3] وكان من أوسطهم نسبًا ، وأعرقهم حسبًا ، وأفصحهم لسانًا ، وأعذبهم بيانًا ، فأدلى إليهم

---

(١) سورة الفجر آية : ٥ – ٨ . (٢) سورة النجم آية : ٥٠ .

(٣) سورة إبراهيم آية : ٤ .

بالحجج المقنعة والبراهين الساطعة على صدق ما دعاهم إليه ، وحضهم عليه ، وأنذرهم به ، وحذرهم منه فأعرضوا عنه ، وأغلظوا له القول ، واتهموه بالسفه والجنون والكذب .

وقالوا : يا هود ما أنت إلا سفيه طائش الحلم ، فاسد العقل ، كيف تعيب آلهتنا ، وتعيب ما وجدنا عليه آباءنا ؟ من أنت من بيننا ؟ وبأى شىء تتميز علينا ، حتى يخصك الله بالرسالة من بيننا ؟ هلاّ اختار لها عظيمًا من عظمائنا ذا مال وسعة وجاه وسيادة ؟ .

قال هود عليه السلام : يا قوم ليس بى سفاهة عقل ولا حماقة رأى ، وما جربتم علىَّ مِنْ كذب ، ولقد لبثت فيكم عمراً طويلاً لم تروا منى إلا خيرًا ، وما العجب فى أن يختص الله واحدًا من خلقه برسالته ويؤتيه من لدنه علمًا وقدرة على تبليغها بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، ففكروا بعقولكم فيما دعوتكم إليه ، وانفذوا إلى حقائق هذا الكون ببصائركم ، تروا أن كل شىء فى هذا الوجود يدل على أن الله واحد لا شريك له ، فآمنوا به ، واستغفروه يرسل السماء عليكم مدرارًا ويمددكم بأموال فوق أموالكم ، ويزدكم قوة إلى قوتكم ، ولا تتولوا مجرمين، واعلموا أنكم بعد موتكم سوف تبعثون ، من عمل صالحًا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، فتدبروا لأنفسكم وخذوا الأهبة لآخرتكم ، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ولكنى أراكم قومًا تجهلون .

ولكنهم لووا رءوسهم ، ودارت أعينهم ميمنةً وميسرة وقالوا يا هود : ما جئتنا بخير ، وما أتيت على قولك هذا ببينة ، وما نقول إلا أن إلهًا من آلهتنا قد أصابك بسوء فأفسد عليك عقلك ورأيك ، ثم ما هذا الاستغفار الذى يرسل الله به السماء علينا مدرارًا ويمدنا بالمال ويزيدنا فى القوة ؟، وما يوم البعث الذى تزعم أننا نعود فيه بعد أن نصبح عظامًا نخرة ، وجثثًا بالية ؟، هيهات هيهات لما تعد وتزعم ، وما هى إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين .

ثم ما العذاب الذى تعدنا وتتوقع أن نلقاه ؟ ،إننا لن نذعن لما تقول ، ولن نرجع عن عبادة آلهتنا ، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .

فلما تبين له أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ، أشهد الله عليهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، وتبرأ منهم ، وتحداهم أن يصيبوه بسوء إن استطاعوا ، فلم يستطع أحد على كثرتهم وقوتهم أن يناله بأذى ، وفى هذا التحدى معجزة على صدق دعوته .

ولعلهم سألوه عن السر الذى عصمه منهم ، والقوة التى حالت بينهم وبينه ، فأخبرهم بأنه قد توكل على الذى بيده نواصى الخلق جميعًا ، فعصمه منهم ؛ لأنه هو صاحب الأمر والقوة ، الغالب الذى لا يغلب ، والقاهر الذى لا يقهر .

﴿ قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقولُ إلا اعتراكَ بعضُ آلهتنا بسوء قال إنى أُشهد الله واشهدوا أنى برىءٌ مما تشركون . من دونه فكيدونى جميعًا ثم لا تُنظِرُون . إنى توكلتُ على الله ربى وربكم ما من دابةٍ إلا هو آخذٌ بناصيتها إنَّ ربى على صراطٍ مستقيمٍ ﴾ (١) .

وظل هود عليه السلام يترقب ما يحل بهم ، فما هى إلا أيام حتى رأوا سحابة سوداء قد أظلتهم ، فحسبوها من السحب الممطرة ، ففرحوا واستبشروا وهيأوا أنفسهم لاستقبالها ، فأخبرهم أنها العذاب الذى استعجلوه ، قد حل بساحتهم ونزل بواديهم .

قال تعالى : ﴿ فلما رأوْه عارضًا مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارضٌ مُمطرنا بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم . تُدمِّر كلَّ شىء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنُهم كذلك نجزى القومَ المجرمين ﴾ (٢) .

واستمرت هذه الريح حتى أتت على آخرهم فى سبع ليال وثمانية أيام متتابعة ، فجعلتهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ونجىّ الله هودًا ومن معه من المؤمنين ، كما نجا نوحًا ومن معه من قبل فى الفلك المشحون ، وتلك سنة الله فى عباده ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً . وقد وردت أطراف هذه القصة فى سورة الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء، وفصلت والأحقاف، والذاريات والقمر، والحاقة والفجر وغيرها.

* * *

(١) سورة هود آية : ٥٣ - ٥٦ .   (٢) سورة الأحقاف آية : ٢٤ - ٢٥ .